الرسالة

(تيطس ٣: ٨–١٥)

يا ولدي تيطُسُ صادقةٌ هي الكلمةُ وإيّاها أريدُ أن تقرِّر حتى يهتمَّ الذين آمنوا باللهِ في القيامِ بالأعمالِ الحسنةِ. فهذه هي الأعمالُ الحسنةُ والنافعة* أمَّا المباحثاتُ الهَذَيانيَّة والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّة فاجتنبْها. فإنَّها غيرُ نافعةٍ وباطلةٌ* ورجلُ البدعةِ بعدَ الإنذارِ مرَّةً وأخرى أعرِضْ عنه* عالِماً أنَّ مَن هو كذلك قدِ اعتسفَ وهو في الخطيئةِ يقضي بنفسه على نفسه* ومتى أرسلتُ إليكَ أرتِماسَ أو تيخيكوسَ فبادِرْ أن تأتيَني إلى نيكوبولِسَ لأنّي قد عزمتُ أن أُشتِّيَ هناك* أمَّا زيناسُ معلِّمُ الناموسِ وأبلُّوسُ فاجتهدْ في تشييعهما متأهِبين لئلَّا يُعوزهما شيءٌ* وليتعلَّمْ ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ

الشهيد في الكهنة نقولا خشة وابنه الأب حبيب

وُلِدَ في دمشق عام ١٨٥٦ من أبوين تقيين هما يوسف خشة ومريم مقبعة. تلقّى العلم في المدرسة الأرثوذكسية الكبرى الآسية، وتعاطى تجارة الحرير في شبابه. أحب الكنيسة فتولى رئاسة جمعية المدارس الأرثوذكسية بدمشق. بعد إقامة وجيزة في مصر قرر العودة إلى دمشق فاختارته الرعية كاهناً لها، وسامه البطريرك ملاتيوس شماساً في الكاتدرائية المريمية في آذار ١٩٠٠ وكاهناً في حزيران ١٩٠٠ وكان قد تزوّج ورُزِق وَلَده حبيب وإخوته.

إنكب الخوري نقولا على خدمة الرعية ورئس مدة طويلة جمعية القديس يوحنا الدمشقي التي سعت إلى تطوير العلوم لأبناء الرعية بدمشق. كان محبوباً جداً من رعية دمشق، وكان النجاح حليفه في فض الخلافات. برز دوره عندما أسند إليه البطريرك ملاتيوس النيابة البطريركية بدمشق حين زار غبطته عام ١٩٠٠ بعض أبرشيات الكرسي الإنطاكي في لبنان والإسكندرونة وإنطاكية. فقد أظهر مقدرة في الدفاع عن الكنيسة لدى السلطات العثمانية أوجبت احترامها لشخصه. وتولّى لفترة طويلة وكالة دير سيدة صيدنايا البطريركي فتحسنت وارداته وضُبطت أموره المالية. كان الأب نقولا واعظاً لامعاً يشد النفوس إلى الله، وكان راعياً شجاعاً حكيماً في حل الخلافات الناشبة بين أفراد الرعية.

العدد ٢٩ / ٢٠١٧

الأحد ١٦ تموز

أحد آباء المجمع المسكوني الرابع

تذكار الشهيد في الكهنة أثينوجانس

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر السادس

عام ١٩٠٨ استعفى المطران ألكسندروس طحان من أبرشيته كيليكيا وهي واقعة الآن في جنوب تركيا وتضم مدن مرسين وطرسوس وأضنة، فوقع اختيار البطريرك غريغوريوس حداد على الخوري نقولا فأوفده إلى هذه الأبرشية منتدباً بطريركياً ووكيلاً حيث جعل مقره في مرسين. وكانت حياته فيها سلسلة من الجهاد والعمل الدؤوب.

كانت له مواقف مشهود لها في الدفاع عن حقوق الكنيسة والرعايا المسيحية في المنطقة، خصوصاً عندما بدأت حملات تهجير وتطهير عرقي في الأناضول استمرّت منذ عام ١٩١٠ وحتى ١٩٢٢، وأسفرت عن

استشهاد مئات الألوف من المسيحيين من مختلف الكنائس. اتصف في تلك الفترة بالكرم، رغم فقره الشديد، والصبر، والإرادة الحديدية، والحكمة، والثبات في المواقف، والعطف على المظلوم.

لم ينسَ لطفه ورعايته المناضلون الذين حكم عليهم جمال باشا بالنفي إلى كيليكيا في فترة سفربرلك. ضاق صدر السلطات الأمنية التركية بهذه المواقف الوطنية الشجاعة فراحت هذه السلطات تتحيّن الفُرَص للإيقاع بالخوري نقولا. تم لها ذلك في عام ١٩١٧ على أثر وشاية واتهام بالتآمر على الدولة العلية.

كان بهاء الدين، حاكم مرسين العسكري ذو النزعة التركية المتعصّبة، يكره الأب نقولا لدفاعه عن حقوق الكنيسة. فألقى القبض عليه وسواه من المشتبه بهم، وأخضعهم لتعذيب وحشي من جلدٍ بالسياط إلى قلعٍ للأظافر وتكسير للأضلاع. كان التعذيب الأكبر من نصيب الأب نقولا، وقد تمثّل بعملية تكسير منتظمة لأضلاعه، إذ كان جلّاده ضخم الجثة يُلقي بجسمه الثقيل على صدره النحيل. وكان الأب يتمتم بفصول من الكتاب المقدس وهو يتعرض لهذه العذابات والآلام المبرحة حتى أسلم الروح بعد أن حطّم الجلاد جمجمته.

أما ابنه حبيب فقد ولد في دمشق عام ١٨٩٤ وكان البكر في عائلة مؤلفة من ثمانية أولاد. تلقّى علومه في مدرسة عينطورة ثم تابع دراسته الجامعية في الجامعة الاميركية في بيروت وتخرّج عام ١٩١٤ حائزاً على شهادة بكالوريوس في الآداب. قبيل الحرب العالمية الأولى انتقلت عائلته إلى مرسين حيث خدم والده ككاهن. وبعد استشهاد والده نزحت الأسرة إلى بورسعيد حيث تزوج من السيدة وديعة توما وهي من عائلة سورية.

عمل حبيب ما بين ١٩٢٢ و١٩٢٤ في بورسعيد محاسباً ومترجماً لدى شركة للنفط والتصدير ثم انتُدب إلى فرع الشركة في بيروت عام ١٩٢٤. رُزق خمسة أطفال توفي أحدهم. عام ١٩٣١ استقال من عمله ليدخل سلك الكهنوت. وانتقل وعائلته إلى دمشق حيث سيم كاهناً عام ١٩٣٢ بيد المثلث الرحمة البطريرك ألكسندروس طحان في الكاتدرائية المريمية. عام ١٩٤٠ نُقل إلى القاهرة لرعاية الأرثوذكس الأنطاكيين حتى العام ١٩٤٣.

اشتهر الخوري حبيب بعظاته البليغة والزيارات التفقدية لأفراد الرعية وكان يتردد على دير القديسة الشهيدة تقلا في معلولا. كان الفقراء أصدقاءه وكان يعيش في بيته حياة زهد وصلاة وصوم. إن قُدمت له جبّة ثانية يعطيها لكاهن محتاج. عُرِف بعطائه السخي حتى إنه كان يستدين المال لتجهيز ابنة أرثوذكسية فقيرة دفعها فقرها وتغرير أحدهم لتلحق به وتترك مسيحيتها. أحب العلم وبثه في صفوف أبناء رعيته كما يظهر من الجهد الكبير الذي بذله في مدرسة القديس يوحنا الدمشقي الأرثوذكسية حيث تبرع بالتدريس مجاناً.

كان يتجلى في بعض الأحيان أثناء خدمة الذبيحة الإلهية ويرتفع عن الأرض، فوصفه معاصروه بالقديس. وكان الدمشقيون الذين عاصروا والده الشهيد يقولون إنه يصلّي لكي يموت شهيداً مثل أبيه وبالفعل ختم هذا القديس الجديد حياته بالاستشهاد.

في ١٦ تموز ١٩٤٨ خلال خلوة روحية على الجبل الشيخ، مرّت به

الصالحةِ للحاجاتِ الضروريَّة حتى لا يكونوا غيرَ مثمرين* يسلِّمُ عليكَ جميعُ الذين معي* سلِّم على الذين يُحبُّوننا في الإيمان. النعمةُ معكم أجمعين. آمين.

الإنجيل

(متى ٥: ١٤–١٩)

قال الربُّ لتلاميذه أنتم نورُ العالم. لا يمكن أن تَخفى مدينةٌ واقعةٌ على جبلٍ* ولا يُوقَدُ سِراجٌ ويوضعُ تحت المكيال لكن على المنارة ليُضيءَ لجميعِ الذين في البيت* هكذا فليُضئ نورُكم قدَّام الناسِ لِيَرَوْا أعمالكم الصالحة ويُمجّدوا أباكم الذي في السموات. لا تظنُّوا أنّي أتيتُ لأُحلَّ الناموسَ والأنبياءَ، إنّي لم آتِ لأحُلَّ لكن لأُتمِّم* الحقَّ أقول لكم إنَّه إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نُقطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يتمَّ الكلُّ* فكلُّ مَن يحلُّ واحدةً من هذه الوصايا الصغار ويُعلِّمُ الناسَ هكذا، فإنَّه يُدعى صغيراً في ملكوتِ السموات. وأمَّا الذي يعمَلُ

ويُعلِّمُ فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات.

تأمل

يوصينا الرسول بولس أن نتجنّب «المباحثات الهذيانيَّة والأنسابَ والخصوماتِ والمماحكات الناموسيَّة». كل ذلك بهدف الوصول إلى السلام الداخلي.

يجب أن نقدِّم ذواتنا للرب. أن نودعه أنفسنا وكلّ ما نملك لأنه حاضر على الدوام. وهو يريدنا أن نكون في هدوء وسلام وألا تكون لنا هموم على الإطلاق. هذا يعني أن على القلب أن يحفظ الصمت. يوصينا الآباء القديسون أن على الذهن أن ينزل إلى داخل القلب. هذا هو مكان الذهن، من دون أية أفكار أو تخيلات. كما يوصي الآباء القديسون بأن نشغل الذهن بصلاة يسوع. فلتُردِّدْ أذهاننا على الدوام صلاة يسوع لأنه حاضر على الدوام، ولنكنْ في شركة متواصلة معه.

نعرف أن الرب حين كان في الجسد كان لطيفاً مع كل الناس حتى الذين اضطهدوه، هو الله الكلي القدرة. وقد أرانا كيف نتجنب الشرّ ولا نقاومه وقد قال ذلك بنفسه (راجع قافلة من المهرِّبين مؤلّفة من عشرة أشخاص. سألوه عن هويته فأجابهم بكل الإيضاحات. ظنّوه جاسوسًا إلا أنه لفت نظرهم إلى ثوبه الكهنوتي وطلب منهم إيصاله إلى أقرب مخفر درك للتثبّت من هويته. لكنهم اقتادوه إلى وادٍ سحيق، حيث نزعوا عنه ثيابه وساقوه عارياً وضربوه وجرّوه وتابعوا تعذيبه حتى لم يبقَ مكان في جسمه لم يُهشّم. ثم أصعدوه إلى صخرة عالية وألقوا به إلى الوادي فانكسر عموده الفقري وأسلم الروح.

عثرت دورية شرطة على جثمان الخوري حبيب عاريًا فنُقل إلى دمشق وسجي في الكاتدرائية المريمية حيث صلّى غبطة البطريرك ألكسندروس عليه ورثاه بكلمة أبويّة وصفه فيها بالقديس. هكذا تحقق للخوري حبيب ما كان يتمناه وهو السير على درب والده حتى الشهادة من أجل محبة المسيح وكنيسته المجيدة.

الأعمال الصالحة

في رسالته إلى تلميذه تيطس، ينصح بولس الرسول تلميذه أن يهتم بالأعمال الحسنة. ما هي هذه الأعمال الحسنة التي ينصح بها الرسول تلميذه؟ لا يميّز بولس بين الأعمال اليوميّة والأعمال الروحيّة في معرض كلامه. عدم التمييز هذا مرتبط بشكل مباشر بالكلمة الصادقة. لا يحدّد بولس نوع العمل لكنّه يحدّد لتلميذه ما هو الحقّ وما هو الكلام الصادق. بالطبع يقصد بولس الكرازة التي كان رسولًا لها أي قيامة الرب يسوع من بين الأموات. يضع بولس هذه الكلمة في مطلع حديثه عن الأعمال لكي يظهر لتلميذه أنّ أيّ عمل، مهما كان نوعه أو طبيعته، لنافعٌ إنْ كان مبنيّاً على إيمانٍ صريحٍ وواضح، ومن خلاله يكون الإنسان مثمراً. عدم تحديد بولس لنوعٍ محدّد من الأعمال يدفعنا إلى البحث عن كيفيّة تطبيق هذه العبارات في حياتنا اليوميّة دون التعلّل بأنّها لا تطبّق في زماننا الحاضر.

يخرج الإنسان كلّ يومٍ إلى عمله، كلٌ ليؤدّي وظيفته بشروطها وطبيعتها المختلفة. تبدو الوظيفة اليوم بعيدةً كلّ البعد عن أيّ طابعٍ روحيّ. هنا أهميّة الشموليّة التي يعتمدها الرسول في كلامه عن الأعمال الحسنة. إن أراد أحدنا الإلتزام فهو قادرٌ أن يجسّد كلّ بعدٍ روحيّ في الدنيويّات. الكلمة الصادقة أي البشارة هي التي تركها لنا الرب يسوع وتُعلّمنا إيّاها تعاليمنا الروحيّة. طريقة عيش البشر ما قبل قيامة الرب يسوع ليست كما بعدها. قبل القيامة كان الناموس يحكم النّاس أمّا بعد صلب الرب وقيامته فقد تبدلت الأخلاقيّات الإجتماعيّة وسمت من الناحية الروحيّة. مذ صار المسيح مثالًا لنا، أصبحت المحبّة هي المحرّك الرئيسي والرابط الذي يُفترض أن يجمع المؤمنين على اتّفاقٍ واحد وإيمانٍ واحد. على الإنسانَ المسيحي أن يتحلّى بالرأفة والتواضع ومحبّة الآخر في كلّ عملٍ يُتمّمه. في موضعٍ آخر يعلّمنا الرسول بولس أنّه مهما عمِل الإنسان من أعمال الخير والصلاح وحتّى العمل البشاري، كلّها لا قيمة لها إن لم تكن مملوءة محبّةً. في الإصحاح الثالث عشر من رسالته إلى أهل كورنثوس يخبرنا أنّ كلّ عمله البشاري ليس بشيءٍ إن لم يكن في المحبّة. حتّى إطعام المساكين وبذل الذات إن لم يكن بدافعٍ من المحبّة لا ينفع شيئاً. أمّا ماهيّة المحبّة المطلوبة فيعلّمنا أنّها المحبّة التي تتأنّى وترفق، التي لا

تحسد ولا تتفاخر ولا تنتفخ، لا تطلب ما لنفسها ولا تظنّ السوء. محبّةٌ كهذه يعلّمنا الرسول أنّها لا تسقط أبداً.

في ظلّ الضغوط الإجتماعيّة والعمليّة علينا أن نبحث عن الكلمة الصادقة. يبحث الإنسان عن يسوع المسيح في الآخر. عندما يكون الآخر بالنسبة لنا أخاً ونرى فيه المحبّة التي دفعت الرب يسوع لأن يبذل نفسه من أجلنا ومن أجل الآخر على الصليب، تصير هذه المحبّة ناموس علاقتنا مع المجتمع والأشخاص الذين نتعاطى معهم خلال أعمالنا. عندها تصير الأعمال وسيلتنا للوصول إلى الآخر لا للمنافسة والتفوّق على الآخر. علاقتنا لا تلغي الطابع العملي ولا تحدّ من نجاحنا بل تكون علاقة إنسانيّة تنافسيّة. التنافس ضروري وهو من طبيعة الحياة العمليّة، هو محرّك النجاح والتطوّر وإلّا دخل المجتمع في حال من الركود وعدم التقدّم. البعد الروحي ليس لكبح النجاحات لكنّه مهذّب العلاقات ومؤدِّبها ليكون الجميع في فلك المحبّة والعناية بالآخر.

لا شكّ أنّ أعمال الخير تبلسم جراح المرضى والحزانى والمحتاجين. هذه الأعمال هي من صلب حياة المسيحي المؤمن الذي يقوم بأعمال الخير بمعزلٍ عن أعماله اليوميّة. الأعمال اليوميّة بحسب تعاليم الإنجيل لا تُلغي الحاجة إلى أعمال الخير والبرّ. مهما تطوّرت المجتمعات سوف نرى المظلومين والأرامل واليتامى ممّن هم بحاجة للعناية. الأعمال اليومية بحسب الوصايا وأعمال البرّ لا يلغيان بعضهما بل يكملان بعضهما. على الإنسان أن يسعى جاهداً نحو النجاح ولكنّ نجاحه يجب أن يكون حسب ناموس المحبّة. أن أتقدّم في العمل وأنجح في مسيرتي العمليّة أمرٌ يجب أن لا يكون على حساب الآخر. ليس مقبولاً أن ينجح امرؤ فيما هو يدمّر نفساً أخرى بذريعة المنافسة والسعي إلى النجاح. مؤدّبنا ليس ناموساً ولا حرفا. لنا مؤدّب واحدٌ في هذه الدنيا هو يسوع المسيح ربّنا الذي أعطانا أقصى مثال عن المحبّة عندما بذل نفسه على الصليب من أجلنا. إن كان المسيح مات على الصليب من أجل إنسان فكيف يمكنني أنا الترابي أن أوذي هذه النفس بذريعة النجاح؟ كلّ مؤثّر سلبي وكلّ كلام بطّال هذياني، وكلّ المماحكات تسقط أمام الكلمة الصادقة، كلمة الرب يسوع، التي يصرّ بولس أن نتبعها وأن نحتكم لها في كلّ عملٍ ليكون مرضياً لله.

المطران بولس صليبا في الأخدار السماوية

انتقل يوم الأول من تموز ٢٠١٧ إلى الأخدار السماوية المثلّث الرحمة متروبوليت أوستراليا ونيوزيلانده والفيليبين المطران بولس صليبا، وقد جرت مراسم الجناز والدفن في كاتدرائية القديس جاورجيوس في مدينة سيدني في العاشر من تموز.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

متى ٥: ٣٩). فإن عدم مقاومة الشر يعني المحافظة على السلام الداخلي. أما مقاومة الشرّ فهي شرّ. إنها تحوي رغبة ردّ الشرّ بالشر، الأمر الذي تنشده الأرواحُ الساقطة وتفرح به. وأما حين تهاجمنا ولا تجد مقاومة من قِبَلنا فإن سكينتنا تُجرِّدها من سلاحها فتنهزم. لذا فلنحاول أن نصلّي على الدوام هكذا: «يا رب، أعِنّي على حفظ سلامي الداخلي. علّمني كيف أكون هادئاً، سلامياً ولطيفاً، تماماً مثل ملائكتك».

ولكي نتمكن من القيام بذلك يجب أن نكون مع الرب في أفكارنا بشكل متواصل. هل تلاحظون بأننا نوجّه كل أفكارنا وكل انتباهنا نحو الذين نحبهم؟ هذا ما يجب أن نفعله بالضبط مع الله لأنه لكونه أبانا له الحق بمطالبتنا بأن نعيد إليه ما قد أعطانا. وهذا لمنفعتنا، لكي نشارك في الفرح الإلهي والسلام الإلهي والحياة الإلهية. فلنتعلّم أن نتوجّه إلى الله ونطلبه في الصلاة دون انقطاع.

الشيخ تدّاوس الصربي